

الساعر العربي نحو المستقبل

بقلم محمد زخرفان

حول
الشعر
الجديد

ان نبحت عنها ، فنحن مضطرون لنبحث عنها لدى هذه الاقلية ، بوصفها المجموعة التي تقود بافي الاكياش وراها طيلة عصر .
وتتمتع هذه الاقلية عادة بمواهب جديره بالدراسة والاهتمام ، كما تتمتع بطموح كبير لخلق عوالم شعرية ، يتجلى فيها الحس الشعري الناضج بوضوح . وهذا هو المطلب الاساسي لاي قصيدة : ابراز الحس الشعري وتعميقه ، وتقريبه للذوق العام . واذا ما اردنا استعراض نماذج القصائد التي يتوفر فيها هذا المنصر ، عثرنا على عديد منها يستحق التنويه . وذلك عند الشعراء الاوائل : السياب والبياتي وادونيس وحاوي وعبد الصبور والملاكة انج الخ . ويعمق هذا الحس كذلك في بعض قصائده ، الشاعر محمود درويش ، على ان البعض الاخر من قصائده غالبا ما طبعه السرعة ، وعدم خدمة القصيدة بالشكل الضروري لانماها ، ان طيبة الشكل نفسه ، لا نخدم بالضرورة تجربة الانماء ، والارتفاع بالحس الشعري الى مستوى عال من اللطف . فانا نستطيع ان نعرف على قصة حب الان ، عندما افرا لأكبر الشعراء غموضا اي . اي . كامنجز . واستطيع ان ادرك حسنا - لان الشاعر يذكي الحس ويوقظه - ما وراء السطور المشوشة ، التي تضطرب في ذاكرة الشاعر ، والتي لا يستطيع ان يلحظها ابدا ، لانها ليست جاهزة .
على طول الشوارع اللينة الخائفة الحية
لذاكرة ياتي قلبي ، معنيا مثل

احمق ، موشوشا مثل مخمور
(هي مفترق ما ، فجأة) يلتقي
برجل الشرطة الكبير لفكري ،
متيقظا

غير نائم ، في مكان آخر تبدأ
التي هي - الان منطوية ، لكن العام يكور
حياته على شكل سجين منسي .
- « هنا ؟ » - « آه لا ، يا عزيزي ، الجو بارد جدا » -
لقد ذهبوا : وعلى طول هذه الحدائق تهب ريح تحمل
المطر والاوراق ، مائلة الهواء بالخوف
والدفع .. توقف . (نصف موشوشة .. نصف مغبية

تقلب افراس الخشب المتسمة دائما)

عندما كنت في باريس كنا نلتقي دائما .

هناك في القصيدة تكامل للصورة الشعرية . أنا لا ابحت الان عن

نسق كلاسيكي الابيات ، لكني اشعر ، انني امام اغتصاب للفة . وحيث

من المؤكد ان على الشعر العربي الجديد ان يقفز الى مستوى عالمي . ولا يمكن للمرء ان يجزم فيما اذا اصبح هذا الشعر عالميا ام لا لاننا لم نستمع بعد الى نقاد عالميين يعطون رأيهم في شعرنا ، ليس لان هذا الشعر لم ينقل بعد الى لغات العالم فقط ، بل لانه ما يزال مرتبطا بالوضعية الاجتماعية العامة التي يعيشها الانسان العربي . وهذه الوضعية الاجتماعية - او الوضعية - ما تزال تدرس بتحفظ واناة ، بل وفي احتيال احيانا . والمثل المعروف يقول : « الصينيون اولاً ، ثم العرب ثانياً . » فالحقيقة ان الوقت لم يحن بعد للالتفات اليها . على اننا لا نسعى الى ذلك ولا نحاوله ، اضافة الى القمع الذي نمارسه على انفسنا بدافع مركب النقص . ولا ارجح هنا في دراسة ظاهرة اجتماعية معقدة ، لكنني احاول فقط التأكيد على انه ليس في امكاننا معرفة ما اذا كان الشعر العربي الجديد قد اصبح عالميا . وحيث ان المقياس نفسه يظل نسبيا الى حد بعيد ، فالاحتمال موجود دائما . لكننا لا ننسى ما يلعبه الدور الاقتصادي في تطوير اية حركة ثقافية ، وانهاها ، وطبعها بطابعها الخاص المتميز . ان الشاعر في نيويورك او لندن مثلا ، ليس هو الشاعر في صنعاء او الرباط . فالعوامل الاقتصادية تحدد مناحي الاتجاهات الثقافية والشعرية . وعلى ضوء هذا التحديد (نقيس) مدى فاعلية الشعر ، ومدى عالميته او عكسها .

لقد حاولت القصيدة العربية الجديدة ، ان تنفس هواء جديدا في السنوات الاخيرة . وحاول الشاعر العربي الجديد ان يخطى المحاذير والمعرفلات . واما ما بعد هذه المحاولة ، والنتيجة التي حصلنا عليها ، فذلك هو ما ترجوه الدراسات التي كتبت عن هذا الشاعر وحاولت افهامه للجمهور . وبما ان الدراسات في اغلبها كانت تستمد مفاهيمها من مفاهيم عربية ، تابعه من وصعبيه اقتصادية معينة ، فان شعرنا مشى في الطريق الوعر الذي انتهجه له الناقد . ولما بقي هناك شاعر لم يتأثر الا بما توجي به تجربته الخاصة ، وظهوحه الادبي ، واصالته . وليس هذا عيب الشاعر العربي وحده ، ولكنه عيب اي شاعر كان يمكنه ان يحل محله . فامام جلجلة المصطلحات وتشابسات المفاهيم ، واختلاف النظريات السعدية ، جاءت القصيدة العربية غير مكتملة . (دون حتى ان نحدد كمها اكتمال .) وكان العدد الذي خرج من الدائرة قليلا جدا . وهذا انعد هو اندي استطاع ان يكون مجموع الشعراء القلائل الذين يفودون المجموعة المقلدة الكبيرة . فادن هناك ، شان اية حركة شعرية ، اقلية تقود اكثرية . واما المفاهيم الشعرية للعصر ، والتحويلات الناشئة بخصوص القصائد . كل هذه ، اذا اردنا

ان الشاعر ، كان يردد دائما كلمة دولاكروا المعروفة « الفن هو الغنصايب . » فان المجال يكون مفتوحا لغنصايب العالم ، ابتداء من اللغة الى الخيال المنظم التقليدي . واذا اختار هذه القصيدة المركبة ، فانما لكي اصل الى ان الحس الشعري يمكنه ان يوجد ، حتى في القصيدة التي تتخذ شكل مربع الخانات على الطريقة اليابانية (انظر : مقدمة دكتور كروسمان لعشرين قصيدة لكاملنجز . سلسلة شعراء اليوم ، سبيفر - باريس .) فليس ضروريا ان اركب الجملة بالطريقة التي فرسها التقليد الادبي . وليس ضروريا كذلك ان يستنزف الشاعر كل الخيالات التي علفت بنهه اثناء فراءة كبار الشعراء . المهم ان يفتح عينيه على الحقيقة الوحيدة التي تظهر امامه : القصيدة ، فهي الحقيقة الملموسة ، الوحيدة . هي الحقيقة التي تبرهن على الوجود الفعلي للشاعر ، وهو يواجه جميع الاحتمالات الممكنة في العالم .

ان القصيدة العربية - هكذا بتعميم - حاولت ان تصل الى مستوى الفعالية ، والكشف الا ان الموجة الغالبة ، كانت هي الانتصاف بالتراث واستجلابه . وقد وفق بعض الشعراء بهذه العملية الى اخصاب رؤياهم للعصر : ادونيس ، والبياتي في الدواوين الاولى من مرحلته الثانية ، وكذلك حاوي ، الذي ظل بكل تعطف يدور في حلقة خاصة بعيدا عن اي تأثير او تأثر . ويقرب من اتجاهه هذا ، الشاعر السوري علي الجندي الذي حاول ان ينمي الحس الشعري الذي وضعه ، واعتقد انه انتهى منه ، خليل حاوي في لبنان . وسيسير عبد الصبور في صعود لكي يرقى بقصيدته الى عالم جديد ، لكنه امتداد لما بدأه في السابق . لم تكن هناك اية قطعة مطلقا ، كان هناك امتداد في خط واحد . اما البياتي فقد هيا لنفسه ثلاث مراحل . والمرحلة الثالثة دشنتها قصائده الاخيرة في « قصائد حب على بوابات العالم السابع » حيث صار يمزج الاتجاه الصوفي بالثورة كيان مادي . ويعطى ذلك : « انا اؤمن بنظرية الحلول لا على طريقة الصوفيين ولكن على اساس المذهب الثوري في فهم الاشياء والظواهر » وبخصوص التراث : « ان الشعراء والفنانين مطالبون اكثر من غيرهم بعملية احياء التراث . على ان يتم ذلك نونما قصد مسبق منهم ، وانما يأتي ذلك لديهم نتيجة او محصلة لعملية استيعابهم وتصويرهم الفني عن موجود التراث » (محمد مبارك . مجلة الاقلام العراقية . العدد 11 - السنة 1972)

ان تعدد الاصوات وتفردا في نفس الوقت ، جعل القصيدة العربية الجديدة تكتسب لها مكانة جيدة ضمن باقي الآليات السوسيو - ثقافية ، لكن ذلك ليس هو المطلب الوحيد والنهائي . وقد شعر مجموعة من الشبان في العراق بالخصوص ولبنان وسوريا بهذا ، فقررروا اغتصاب الخيال المنظم النظيف الذي حاوله « الرواد » ومجموعة الكباش الاخرى . ان القصائد الاخيرة التي نقرأها لهؤلاء الشبان ، جعلتنا ننلمس الاداة الشعرية الناضجة ، والحس الشعري الناضج من خلال التركيب الطريف للعمل الشعري كعمل موحد ، تابع من ذات الشاعر الصادقة . وخالصة مجموعة الآليات الاخرى التي تكون عالمه . الشاعر الصادقة . وخالصة مجموعة الآليات الاخرى التي تكون عالمه . حاول ان يتخطى التجربة المعروفة لدى زملائه : حميد سعيد وفوزي كريم وامال الزهاوي . ويقف الى جانبه شاعر مغمور : سركون بولص . وربما شعراء اخرون لم يتسن لي الاطلاع على شعرهم ، وكانت هذه المبادرة الشعرية قد تبناها اول الامر مجموعة من الشعراء في لبنان . لكنها توقفت عند حدود التجارب الاولى دون ان تعطي لنفسها الفرصة كي تطور الحس الشعري على مدى زمني متغير . وربما كان ذلك ناتجا عن ياس ، خلفه عدم الاهتمام من طرف الجماهير غير القارئة لهذا الشعر . لكن هذا اليأس في نظري ليس له اي سبب حقيقي . لان الشاعر عندما يكتب ، فانما يفعل ذلك للمستقبل . وان اية حركة

شعرية ناضجة لا تلقى اول الامر الا الصدود . وقد يدوم ذلك طويلا . اكثر من قرن مثلا ، لان هذه الحركة لا تضرب على وتر الذوق الشعري العام للعصر . ولان جمهورا شعريا كونه المدارس والجامعات على نمط معين من شعر يقرأه - فانه لا يستطيع ان يسمو بنوفه الا اذا مهدنا له الطريق الى ذلك . لهذا يبدو لي ان التوقف عن تطوير الاتجاه الشعري ، اذا جاء لسبب كهذا ، فيجب ان يرفض ، وان يشجب .

ان الحركة الشعرية التجديدية في لبنان ، وففت اول الامر امام كل التحديات من طرف التقليديين ، العديمي الوهبة ، ويبدو لي الان ان هذه الحركة ، متممة في شعراء لبنانيين بالذات ، قد ضعفت نسبيا زبها نسبيا السدي ذكرت . على ان بعض المجالات ما تزال تبنى ، وفتح ، في حفظ ، بابها للجديد والجيد من الشعر العربي واللبناني لكن من ضمن الاستمرار ؟ ان مطامح الشعر يجب ان تعدى الاعتبارات التقليدية الزائفة . واذا كان الارتباط بالتراث والتقليد يعبر في حد ذاته ضرورة لاي تركيب شعري ، فاننا لا ننسى التلازم القائم بين الحرية والضرورة . فبقدر ما اتخطى بشعري عالما معروفا روتينيا الى عالم جديد ومجهول . بقدر ما اراعي ضرورة الاطلاق من نقطة معينة ، والوصول الى اخرى اكتشفها . اليس ذلك هو مطمح اية قصيدة انسانية (ولا اقول عالية) ؟ وقد يبدو للشعراء ذوي النفس الكلاسيكي - تفكيريا وصياغة - ان خوض مواضيع مجردة مثلا ، انما هو الغاية والهدف . لذلك يفضل البعض منهم ان يتحدث عن الفصيلة تقيمة اخلاقية ، او العدالة ، او الصبر ، بالطريقة التي كتب بها شعراء اليونان العظام ، وشعراء الجاهلية الكبار - او تطوير هذه المفاهيم وتطعيمها باحاساسات نرسيسية من القرن التاسع عشر . ان عصرنا يتخطى كل هذه الاشياء ، ولا يمنع ذلك من انه - بالضرورة - امتداد لمطيات العصور السابقة . لذلك كانت محاولة تطوير عمليات الابداع ، محاولة لمد جسر للمستقبل ، وذلك قصد المساهمة الحقيقية في تطوير التاريخ الى ما هو افضل : سعادة الانسان .

ان الشاعر الحقيقي هو الذي يفعل ذلك مدركا الطريق الذي يمضي فيه نحو مستقبله الشعري . واذا رجعنا الى الشعر العربي القديم لوجدنا ان اغلبه كان اصيلا ، واستطاع ان يفتح التراث الانساني بعيدا عن اي افتعال . كانت له ارتباطات بواقعه القاسي في ذلك الوقت ، ولا نستطيع ان ننكر ما يحاوله الشعر الجديد في هذا المضمار . لكن هناك مشاكل كثيرة قد تحول دونه ودون تحقيق هذا الهدف فنظرا لظروف العصر الذي اصبحت فيه الثقافة تستنشق كالهواء ، يخشى المرء من سقوط الشاعر العربي في الاندماج كلية والنويان في الموروث الغربي ، القديم منه والجديد . ان تطوير اية حركة شعرية ، لا بد وان يميزه استقلال نوعي عن اية حركة ابداعية اخرى ، والا ، فهي بدون ذلك لا تعني شيئا اطلاقا .

ويساعد الشاعر في تطوير شعره ، والارتفاع به الى مستوى جيد ، ناقد ممتاز ، يتفهم المسار الابداعي للشاعر عبر مراحل القصيدة . هناك طبعاً ، عدد كبير من النقاد يتحايلون على الشاعر والقصيدة والقارئ معا . ويوهمون الجميع انهم يبذلون جهدا كبيرا لفتح الطريق الى ابداع احسن . وكثيرا ما يخدعون الشاعر نفسه ، فتتجرّف موهبته ، لثقتة في آراء قارة ولا تنطبق عليه . ان كثيرا من النقاد يجنون جناية كبرى على الشعر . وذلك عندما يصدرن احكاما « مع » او « ضد » الشاعر نفسه . وخصوصا عندما تكون تلك الاحكام جاهزة ،

اين يضع خطواته امام التجارب الكثيرة للشعراء في العالم ؟

لقد تعمقت في بداية هذه المحاولة الاسندلال بقصيدة غامضة
لكامنجز . وذلك فقط للبرهنة على ان اية قصيدة مهما كانت غامضة ،
ومركبة بطريقة غير مألوفة لدينا ، فهي تحمل قيمة في ذاتها . ان مهمة
الناقد هي البحث عن هذه القيمة في ذاتها لاي عمل ، او نص ادبي .
وفي نظري فان تقريب مناحي الجمال لتوق القارئ ، هو المطلب
الرئيسي للناقد . وان اصدار احكام فارة يسيء الى مفهوم العمل
الادبي . ورجائي في الاخير ، هو حذف كلمتي « راند » و « رواد » .
لانا اذا فعلنا نفتح المجال للخروج بالقصيدة العربية الجديدة الى آفاق
بعيدة ، منامية . فهناك اشياء كثيرة ننظرها . واست ادري اذا كان
الشعراء العرب الجدد ، الذين لم يتمكنوا من نشر شعرهم قد استطاعوا
ان يدركوا تلك الاشياء . وباختصار ، فلتطوير الحس الشعري فسي
القصيدة ، يلزمنا تخلص الشاعر من قمع الناقد والناشر (مجلات ،
صحف ، دور نشر .) واما الجمهور فهو ينتظرنا دائما عند نهاية الطريق
تمنيا ان نصل اليه باحسن واسرع ما يمكن .

محمد زفزاف

او مركبة بطريقة منفرة ، خاضعة لامتحانات فردية . ويعرف الجميع
تلك العبارة الشهيرة التي اطلقها بوالو في الادب الفرنسي « واخيرا ،
جاء ماليرب ! » ان هذه العبارة البسيطة التي اطلقها بوالو ، تضع
حدا فاصلا بين فترتين حاسمتين في نظره . فترة لا شيء . وفترة
جاء فيها ماليرب ليطور الاسلوب . وكان كل ما كان قبل ماليرب لم
يكن له شأن يذكر . وقد تأثر كثير من النقاد بعد بوالو بهذه العبارة ،
واعتبروا ان فترة ما قبل ماليرب ، ليست بذات شأن يذكر في الادب ،
فلماذا دراستها والعناية بها .

ان بعض النقاد العرب الجدد يحاولون ان يصدروا احكاما من هذا
النوع وذلك بعد ظهور فلان او علان من الشعراء . وهم يضعون بذلك
حاجزا قويا امام مجموعة من المواهب ، التي تكون مضطرة ، خضوعا
لراي الناقد ، الدخول في مجموعة « القطيع » . فالناقد يؤثر على
الشاعر الموهوب حينما يضع له نموذجا معيناً لشاعر معين على انه
الشاعر الحقيقي ، ماليرب عصرنا الحقيقي . ولان الشاعر العربي
الجديد ، الذي غالبا ما يخلده جمهوره ، يكون مضطرا للسير على ما
رسمه له ناقد . لكن من يدلني على ان هذا الناقد يعرف هو نفسه

دار الآداب تقدم

الانسان الاشتراكي

تأليف

اسحق دويتشر

ترجمة جورج طرابيشي

« اذا كان يخامرنا شيء من الاعتزاز لاننا كنا اول من قدم اسحاق دويتشر الى القارئ العربي عندما
ترجمنا ثلاثا من دراساته في « تجارب اشتراكية » الصادر عن « دار الآداب » فان قدرا اكبر من الاسي
يساورنا اذ تقدم له في الدار نفسها آخر ما كتب : « الانسان الاشتراكي » .
« ان هذا الكتاب يضم ، فضلا عن الفصل الاول من سيرة لينين التي حال موت المؤلف دون اتمامها ،
خمسة نصوص تكفي عناوينها وحدها للدلالة على مدى اهمية المشكلات التي تنازلها بالتحليل : « الماركسية
في عصرنا » و « الانسان الاشتراكي » و « جذور البيروقراطية » و « حول الاممية والنزعة الاممية »
و « التيارات الايدولوجية في الاتحاد السوفياتي » .
« وفي هذه النصوص يبرز وجه دويتشر منظر اماركسيا ثوريا من غير ثرثرة واوهام ، وواقعا من
غير مساومة واستسلام . ولعل اهم ما يميز تكبير دويتشر هو تفاؤله . . . وقد عبر قبيل وفاته بايام عن
ثقتة بان القرن العشرين لن يطوي صعخته الا ويكون قد قام في العالم شيء اسمه « ولايات اوروبا الاشتراكية
المتحدة » كما يكون الاتحاد السوفياتي قد انجز بناء الاشتراكية بعد ان يتحرر نهائيا من شوائب التركة
الستالينية . . . »

« اشتراكية مبنية على الحرية : ذلك هو جوهر مذهب دويتشر واسباس مفهومه عن « الانسان
الاشتراكي » ومفتاح مرقفه من التجربة السوفياتية في بناء الاشتراكية . . . »

من مقدمة المترجم

صدر حديثا - ثمن النسخة ٤ ليرات لبنانية او ما يعادلها